على السفود

وللسفود نارٌ لو تلقّتْ بجاحِمها حديداً ظنَّ شحماً
ويَشْوى الصخرَ يَبْرُكُهُ رَمَاداً فكيف وقد رميتُكَ فيه لحماً

ذبابة !! ولكن من طراز زبلن ...

إى والله ، لو أن ذبابة من الذباب سخط الله عليها فابتلاها بمثل ماابتلى به العقاد الشاعر الفيلسوف !! المراحيضى!! من الغرور ودعوى الغرور ووقاحة الغرور لذهبت فى قومها تزعم أنها من طراز زبلن وأنها فى قدره وقوته ولا أقل من أن يكون زبلن هذا عمها أو ابن عمها والا فهو ذبابة من ذباب ما وراء الطبيعة جاءت خاصة لترى فيها هى ذبابة الطبيعة ، فكلاهما (١) عظيم وكلاهما جبار قوة وذهن ..

---

(١) التذكير على اعتبار أن الذبابة خيل لها أنها زبلن .....

قالوا و تغيب الذبابة المأفونة سحابة من نهار و يراها الذباب قاطبة مختبئة فى روث دابة . . . ثم تقذف بنفسها فى الجو عالية ثم تكسر ثم تنقض ثم تدور ثم تهبط ثم تقر على الأرض ، فيقلن لها أين كنت لا كنت ويحك ؟ قالوا فتجيبهن أنها كانت مع المنطاد زبلن . . . و كانا معاً فى رحلة حول الارض . . . وكاد زبلن المسكين يتحطم فى العاصفة لولا أنها ضربت حوله بجناحيها ضربات دفعت له الهواء دفعاً أقوى من العاصفة ، فبضربة ترفعه من حيث يتكفأ ، و بضربة تمسكه من حيث يميل ، وبضربة تخلق تحته طبقة زاخرة فى الجو ، وهكذا لدماً ولكماً ولطماً فى صدر العاصفة وعلى وجهها وقفاها ، إلى أن ولت هاربة ، وتركت زبلن فنجا وماكاد ينجو . . . .

قالوا وتضحك الذباب وتعلن لها : أيتها المأفونة ! لو قلت إنك عصفورة من عصافير الفردوس دافعت أمام عرش الله عن آدم وحواء فطردت معهما الى الارض ، لكان ذلك أشبه بالصدق من دعواك أنك من طراز زبلن ، وتساميك فى الدعوى إلى الرحلة معه حول الارض ، وتناهيك فى السمو إلى الدفاع عنه فى أجواز الفضاء ، وتألهك آخراً فى ضربك العاصفة و هزيمتها بجناحيك على أن هذا كله منك و أنت بأعيننا مختبئة فى هذه الرمثة من هذه البهيمة فى هذه المزبلة ساعة وخمساً وأربعين دقيقة . . . . . أخزاك الله . أفى روث دابة زبلن وسماء وعاصفة وطواف حول الارض ؟

***

هذا و حقك ياسيدى القارىء هو مثل العقاد لو أفصحت الحقيقة عن نوع غروره وحماقته ومقدارهما فى الادب والفلسفة والكتابة والشعر ، فلقد كاد يقول للمغفلين من أمثاله والمخدوعين فيه : ابحثوا فى عن الآله ، بل ما أراه الا أدعاها فى هذيانه الذى قال فيه

والشعر من نفس الرحمن مقتبس والشاعر الفذ بين الناس رحمن !!!

وقد مرت الاشارة الى هذا البيت وسخافة القصيدة التى هو منها

أما نحن فبحثنا فيه فلم نر إلا لصاً وعرفناه فلم نعرف الا ثيما وفتشه النقد فلم يجد إلا صاحب مرحاضه ..

ياسلام . لماذا أنت سوداء أيتها الخنفساء ؟ قالت لأنى الشخصية اللامعة فى الكون !!

ياسلام . لماذا أنت مغرور أيها العقاد المراحيضى ؟ قال لانى أذكى من سعد باشا وأبلغ من سعد باشا . هذا ياسيدى و سيد كل أديب على وجه الارض . . كلام خنفسائى

فقل شيئا آخر . قل لنا مثلا إن الحقيقة المضحكة الساخرة القائمة فى نفسك والتى هى مبعث شعورك والتى خلعتها أنت على نفسك بأوهامها وزخارفها وتلاوينها ، هى بعينها تلك الحقيقة القديمة التى لبسها من قبلك العجل أبيس ! اغير أنه ظلم بها وحبس فيها وجاءته من الناس ، وتراها أنت عدلا وحريه فكر . . . وجاءتك من نفسك. وإلا فأفهمنى بغير الكلام الخنفسائى !! ما الفرق بين عجل يقال إنه بين الناس إله أو صورة إله ، وبين رجل مثلك يقول عن نفسه بنفسه لنفسه .. أنه بين الناس رحمن!

نعم أنك مثلت فصولا لافصلا واحداً — فى روايه الغرور والدعوى (ولعبتها) كما يقول طه حسين ، ولبست للناس ثياب الرواية، ولكنى رأيتك بعد منساقا فى الحياة وراء المعانى المكذوبة التى مثلتها تدعيها ولا تفارقها ، فبربك هل رأيت أثقل على النفس ممن كان مرة على المسرح ، أمام من دفعوا خمسة قروش وعشرة قروش ، وكان هرون الرشيد ، وكان له زبيدة وجعفر ومسرور ، وكانت الرواية ، ثم يمر يوما على قسم الموسكى فيومىء للعسكرى الواقف على الباب ويقول له : يامسرور ! اذهب الآن فاكبس دار فلان (أرجو من فضلك أن يكون غيرى) وائتنى برأسه ! وقل لزبيدة وقل لجعفر!؟ أنت والله يا عقاد فى دعواك وغرورك الأدبى أثقل وأبرد من هذا ثلاث مرات، والذى يقول لك غير هذا فهو إنما يهزأ بك إن كان ذا رأى وكان لرأيه وزن.

* * *

رأى القراء فى السفود السادس خبط العقاد فى نقل كلام شوبنهور واستخراجه النتيجة منه على رغم أنف هذا الفيلسوف الكبير وادعائه أن ذلك رأى ابتكره وقالت به العقول وأصحابها. ولكن بقى أن أعرف جواب هذا السؤال : هل فى الشرق كله رجل يفهم ويرى نفسه فى حاجة الى رأى عباس محمود العقاد . . . فى الرد على فلاسفة أوروبا وجبابرة الذهن فيها ؟ وهل يكون الرد للشرقيين وينشر فى الشرق، أم للغربيين وينشر فى أوروبا ؟ وكم مقالة فى مثل ذلك كتبها العقاد فى صحف انجلترا والمانيا وفرانسا ؟ وما ذا كان تأثيرها ؟ وما ذا قالت تلك الامم عن جبار الذهن المصرى ؟ وهل عيرتنا نحن به ام عيرت به فلاسفتها وكتابها ؟

هذا كله سؤال واحد يفضى بعضه الى بعض لانه ان وقع شىء من ذلك وقع

الكل . فأجيبونا أيها القراء . إنه ان لم يثبت ذلك كله انتفى كل ذلك وأصبحنا من العقاد وغروره ودعواه فى هواء وفضاء . فلم يبق الا ان العقاد وأشباهه هم المحتاجون الى الرد فى هذا الشرق المسكين على شوبنهور و نيتشه وغيرهما تدجيلا و تعمية ويحدوا ما يتعلقون عليه حين يجدون مامم مضطرون اليه . فان البلية والبلية كلها آتية من عقول مضطرة للعمل العقلى اذ كان وسيلة العيش لاصحابها الذين يحترفون الكتابة فى صحف تسمى صحفا على المجاز ، اى باعتبار الطبع والورق !! .

وكانت عقولهم ضعيفة رخوة إذ نشأت على طبيعة كطبيعة التسلق النباتى فلم تبلغ درجة الأحكام والفصل . ثم لا يعملون بها وهي عندهم وسائل عيش دنيئة كعربة الحوذى مثلا — الاعمل العبقريين بوسائلهم العقلية العالية . فمن ثم لا، يكون همهم الا الاغارة على آثار العقول الناضجة الصحيحة بلا نقد ولا تحميص ولا بد حينئذ من التشويه والمسخ ليعملوا عملا من عند أنفسهم فيقع الضرر من ناحيتين ، ناحية ضعفهم ، وناحية اضطرارهم .

وبذلك ينحدرون الى اضطرار شر من الاول فيرتطمون فيه و هو القطع والجزم هنا، فيما هو فرض أو تجربة هناك . والبناء على هذا الاساس الواهى بناء يثبت أن صاحبه جبار ذهن !!! فقد لا يكون الفكر المنقول او المسروق شيئا يذكر وقد يكون شيئا قليلا ولكن (بعملية جبار ذهن ...) يصبح عندنا وأقل ما يوصف به أنه دليل على أن الكاتب جبار ذهن عبقرى .

هى (عملية) الخلق الجديد بالتشويه والمسخ والتعمية ومداخلة الأقوال والأفكار بعضها فى بعض الخ والعقاد اكبر اختصاصى ، فى هذه العملية ، لانه لاحياء فيه ولا ذمة، فهو بذلك كاتب عربى عظيم، ولكنه فى الوقت نفسه أرضة كتب انجليزية لو عثر به شاعر او كاتب انجليزى لذهب واشترى لكتبه (نفتالين) يطرد به هذا العث المسمى العقاد ... الذى يدأب فى (أكل كتبه) وثماره العقلية

ooo

والآن قد ظهرت وجوه العقاد من نواحيه المختلفة وعليها صفعات البراهين ورآ القراء كما يقال فى لغة الملاكمة ، يقيس الأرض بطوله ، ... (١) فلنودع ديوانه

---

(١) يكنون بها عن سقوط المصروع الى الارض وتمرغه عليها بضربة قاضية

بنظرات سريعة نقلبه فيها كيفما اتفق، فهذه هي عادتنا فى نقده اذ لا يداخلنا شك أن فى كل صفحة من ديوانه سرقات وغلطات وحماقات . ولم نعرض ولا نريد ان نعرض الى بيان فساد معانيه. فنقول هذا ضعيف وهذا ركيك، ولو قال كذا لكان أحسن الخ الخ. فان كل هذا لا ينقص من العقاد عند العقاد ، وان نزل به فى تقدير القراء والادباء لان الرجل كما تعلم فاسد الذوق ومن أقوى طباعه المكابرة ومن أوكد أسبابه عدم المبالاة . فاذا قلت له هذا عندى ضعيف قال لكنه عندى قوى وان قلت هو فاسد فيما أرى . قال وهو فيما أرى صحيح . وهكذا لا تفتح عليه باباً الا خرج من باب يقابله . ولكنك حين تقول سرقت ومسخت وغلطت وأخطأت . تراه قد ابتلع لسانه واستخزى وانكسر، اذ ماعسى أن يقول ولا محل هنا لذوق يختلف فيه ولا لقديم أو جديد يهرب بأحدهما من أحدهما، فلا يكون الا أن توثقه كتاباً بالحقيقة وتلقيه فى سجن الغلطة وهو سجن لا منفذ فيه الا الى محكمة فحكم . . .

انتقدنا فى العقود السادس أبياتاً من قصيدة العقاد (ياأديم الصبوات) صفحة ١٤٤ وقد راسلنا أحد الادباء يخبرنا أن الاربعة الابيات الاولى من هذه القصيدة مسروقة من كتاب ألف ليلة !! ونحن لم نقرأ هذا الكتاب الا فى الصبى ولا نذكر الآن كل ماليه من الشعر مبتذل عامى، فان صح أن العقاد سرق منه فقد أدرك شهرزاد الصباح . . .

فى هذه الصفحة ١٤٤ أبيات حسنة يشير بها الى معنى جميل ، وهو أن الحبيب الذى أوتى الجمال فى وجهه لا يأتى له، أو لا ينبغى له، أن ينتحل الوقار و يتظاهر بالغضب والتعبيس والقطوب فيقول :

واخدع جليسك بالقطوب فانني ... أنا لا أغر بضاحك متنكر
هيبات توليك الطبيعة مسحة ... مما تروم من الوقار المفترى
أنتم مباسمها وفيكم تنجلى ... للناس ضاحكة كأن لم تكدر
ماللطبيعة حين يضحك ثغرها ... ضحك سوى الوجه الصبوح المزهر

والقصيدة كلها مبنية على هذه المعانى كأنها ثرثرة طويلة حول كلمة أو كلمتين ومع أن هذه المعانى كثيرة فى الشعر الاوروبى ،فانك تجدها بخاصة فى كتابات أناتول

فرانس حتى لمكن أن تعد مذهبا من مذاهبه . فعنده أن المرأة الجميلة (تناقض طبيعتها) إذا لم تكن للجميع تحفة من تحف الفن ، وما أدراك ما « الفن » عند هذا النابغة الحيوانى . على أن أصل المعنى فى شعر ابن الرومى، وقد تفنن العقاد هذه المرة فى السرقة وكان لصاً كاص « المحانظ » وأصاب محفظة فيها خير

يقول ابن الرومى فى ممدوحه يستعطفه و يستميل وجه رضاه :

بوجهك أضحى كل شىء منورا وأبرز وجها ضاحكا غير غاضب

فلا تبتذله فى المغاضب ظالما فلم تؤت وجهاً مثله للمغاضب

هذا هو كلام العقاد بعينه نقله الى الغزل وتصرف فيه ومع ذلك جاء مضطربا نازلا عن الاصل المسروق منه.

يقول العقاد لحبيبه (واخدع جليسك بالقطوب فانى أنا الخ) فمن جليس الحبيب غير محبه؟ كأنها مومس لها كل ساعة جليس . هلا قال « واخدع سواى بذا القطوب» !!!

و يقول فى البيت الثانى (الوقار المفترى) بصيغة اسم الفاعل . والمفترى الوقار هو الحبيب لا الوقار يفترى نفسه . فيجب أن تكون الكلمة بصيغة اسم المفعول مفتوحة الراء ، و بذلك تسقط القافية . والبيت الثالث (أنتم مباسمها الخ) مع أنه من قول ابن الرومي، ولكنه كذلك من قول الآخر:

لقد حسنت بك الأيام حتى كأنك فى فم الدنيا ابتسام

وفى البيت جعل الطبيعة مضحك فى الحبيب ، فهو اذن ثغرها . ولكنه فى البيت الذى يليه جعل الحبيب ضحكا فى ثغر الطبيعة . فنقض على نفسه وكل هذا قد سلم منه بيتا ابن الرومى كما رأيت . وقال المراحضيى فى صفحة ٢١٣

ياليت لى ألف قلب تغنيك عن كل قلب

وليت لى ألف عين تراك من كل صوب

يالطيف يالطيف . يدعو الرجل على نفسه بالمسخ والتشويه وان يجعله الله (من فوق لتحت) رقعاً من العيون ، فاذا أصيب مرة بالرمد جاؤوه بعربة سباخ محملة من (الششم) أو بعربة رش مملوءة من محلول البوريك و بحمار محمل قطناً . فانه لا يكفى الف عين أقل من ذلك . ولم هذا كله ؟ ليسرق العقاد بيتاً واحدا من الشعر فيجعله بيتين و يسقط

هذه السقطة و يضحك الأدباء من غباوته . ومعنى البيت الأول أن لهذا المخنث الذى يحبه العقاد الف عاشق فاذا كان لابد له من الف عاشق ولا يقنع إلا بألف، فالعقاد يتمنى أن يكون له الف قلب ليقوم وحده مقام الألف. وانظر أى سخف هذا . ثم يريد أن يكون له أيضا الف عين لينظره من الف جهة ، فاذا صح أن الحبيب المخنث يحدله الف قلب تحبه فهل يصح فى العقل أن الجهات ألف ..؟ أم يظن العقاد أن تخرج عينه وتجرى وراء الحبيب فاذا كان هذا الحبيب فى حلوان ثم رجع إلى القاهرة ثم كان فى عماد الدين ثم مر فى كل الشوارع ، خرجت عيون صاحب مرحاضه تجرى وأرسلت اليه النظر بطريقة لاسلكية ، فيكون حيث هو ملقى، ومع ذلك يرى حبيبه فى كل مكان ؟

والله لو قال العقاد كل بديع مبتكر ثم قال هذا السخف لسقط ، فكيف وهو لص سارق يسرق من أبى على الحاتمى قوله المشهور :

لى حبيب لو قيل لى ماتمنى ماتعديته ولو بالمنون
أشتهى أن أحل فى كل قلب فأراه بلحظ كل العيون

قابلوا أيها القراء واحكموا . انكم لن تحكموا على صاحب مرحاضه الا بالجلد ثمانين جلدة على الأقل

ويقول المراحيضى فى صفحة ٢٥٥ :

كيف لقلبى أن لايحبك يا خدر نعيم بوشيه حافل
لاأنا أعمى فأستريح ولا أنت من الحسن والصبى عاطل
بأى معنى عليك لاتعلق العـ ـين وأنت المبرأ الكامل

مرة يتمنى أن يكون له الف عين ومرة يتمنى أن يكون أعمى فيستريح ، ولا نعلق على هذه الأبيات بشىء ، فاننا لانظن أن فى أهل الذوق من الشعراء وأهل الحب من المتأدبين من يقول لحبيبه (لاأنا أعمى ولا وجهك قبيح فكيف لاأحبك ؟) . فالعقاد هو الذى جاء بهذا المعنى. أما الشعراء فيقولون كما قال صاحبهم :

ياحبيباً كله حسن لحب كله نظـــر

ومما هو من باب هذا العمى الشعري قول صاحب مرحاضه فى صفحة ١٥٦ .

كأن ما آق مار كبت إلا لترعاك أو تأفلا

يعنى أو تعمى كما يأفل النجم ونعوذ بالله . ويريد من معنى ترعاك تراك وهو غلط

نبهنا على مثله فيما تقدم . والبيت بعد هذا كله مكسور ينقصه حرف فى أول الشطر الثانى . وفى هذه الصفحة .

قبيح بعينى أن تنظرا ولكن لعينيك أن تقتلا

وهو من قول ابن الرومى مسخه العقاد أقبح مسخ

عينى لعينك حين تنظر مقتل لكن عينك سهم حتف مرسل

ومن العجائب أن معنى واحداً هو منك سهم وهو منى مقتل

والعقاد يكثر فى شعره من معنى واحد يرقعه فى كل مكان برقعة جديدة ، وهو أن الحسن يدعو الى الحب بل الى الخطيئة وان مايدعو العاشق من المعشوق هو الذى ينهى المعشوق عن العاشق . وكل هذا من قول المعرى

مابال داعى غرامى حين يأمرنى بأن أكابد حر الوجد ينهانا

و قول ابن الفارض :

والى عشقك الجمال دعاه فالى هجره ترى من دعانا

وقول ابن الرومى :

لها ناظر بالسحر فى القلب نافث ووجه على كسب الخطيئات باعث

وقد مرت الاشارة الى بعض هذا المعنى فى السفود الأول فلندع كل ماجاء فيه من شعر العقاد وفى الصفحة عينها ١٥٦ يقول المراحيضى

ولح أنت فى صحراء الزما ن نهراً يهيج الصدى سلسلا

حرك الحاء من الصحراء وهى من أقبح الضرورات . بل لامعنى لها . وكان يستطيع أن يقول : ولح فوق صحراء هذا الزمان ، ويقول بعده

فان قاربتك شفاه الظما عجبت وأعجب أن تجهلا

والمعنى أن جمال هذا الحبيب كنهر فى الصحراء يهيج ظمأ من يراه فان دنت منه شفاه الظامئين عجب من دنوها . والاعجب أن يجهل . يجهل ماذا ؟ إنها كلمة من الحشو وكان عليها أن تمنع لا أن تجهل .

ثم الصحراء اذا كان فيها (نهر) لم تبق صحراء فان كان يريد السراب الخادع فهذا يهيج الصدى ، لكن لايمكن أن تقربه الشفاه لانه تخييل . فالمعنى فاسد من الناحيتين كما ترى والصواب قول ابن الرومى :

كلامك أكذب من يلمع يخيله بالضحى صحصح

وفى آخر هذه القصيدة يقول المراحيضى :

لقد كان وجه الثرى جنة من القبح لو من جمال خلا

إن كانت (جنة) بفتح الجيم فلا ندرى كيف يكون وجه الارض جنة من القبح لو خلا من الجمال ، إذ لا يمكن أن توجد جنة من القبح الا فى وهم مثل هذا الرقيع الفاسد التخيل . وإن كانت بضم الجيم بمعنى الوقاية فهذا أشد فسادا من الاول . وان كانت بالكسر بمعنى الجن فالمعنى مضحك ويكون هكذا : لقد كان وجه الارض جنا لو خلا من الجمال . وعلى كل حال فما خلا من الجمال فهو بالطبع من القبح . فماذا يريد المراحيضى أن يقول؟

وفى صفحة ٢٩٥ : أيراك باكية وأنت ضياؤه ونعيم عيشى كله بيديك

وعزيزة تلك الدموع فليتها يقنو قطيرتها نظيم سليك

قطيرتها مصغر قطرتها وسليك مصغر سلك ويقنو يكون لها قنوا كقنو الموز وهو العود الذى تنبت فيه أصابع الموز والمعنى أن دموعها عزيزة ليت لها سليكا يكون قنوا لقطيرتها . . . . ولم يبق لتمام العزيمة حتى يحضر خادم هذا الطلسم الا أن يقول المراحيضى بعد ذلك

فيجئ جَلْجَلَ جَلْجَلُوتِ جَلْجَلَتْ يَضَعُ القُطَيْرَةَ فى السُّلَيكِ لديكِ

وقال فى صفحة ١٠٦ : ونهراً كمرآة مهجورة على وجهه من جواها الشر

يصف النهر فى الشتاء لأن رعدة النسيم تجعد وجهه ولكن لا يكاد أحد يفهم كيف يكون على وجه النهر أثر من جوى المرأة المهجورة ؟ فالصواب على وجهها أى وجه مرآة المهجورة . ويبقى أن مرآة المهجورة لا يكون على وجهها من جوى هذه المهجورة شىء لأنها مرآة من البلور لا من اللحم والدم حتى يمكن أن تظهر فيها صفرة وتحول

أمال إيه المعنى يا ترى ؟ المعنى يعرفه هذا اللص ولم يستطع نقله كعادته دائما وهو للخالدى الكبير يصف البدر وقد غشاه غيم رقيق فيقول :

والبدر منتقب بغيم أبيض هو فيه بين تخفر وتبرج

كتنهد الحسناء فى مرآتها كملت محاسنها ولم تتزوج

هذا هو الوصف التام البديع لأن الحسناء التى كملت محاسنها ولم تتزوج متى رأت

جمالها فى المرآة تنهدت فيغشى المرآة غيم رقيق يلوح وجهها من تحته كالبدر فى نقاب الغيم . أما بيت العقاد فيهات أن يفهمه أحد الا إذا وقف على هذا الاصل فيفهمه حينئذ ليرميه فى وجهه و يقول له (غور ياشيخ)

فى ديوان هذا المراحيضى ابيات منسجمة حسنة السبك كأنها من سائر شعره بقايا مبنية فى خرائب متهدمة . واكثر شعره ركيك يلتوى فيه المعنى أو يضطرب السبك أو يقصر اللفظ عن الأداء فاما ظهر الكلام غامضا لا يفهم او ناقصا لا يبين أو معقدا لا يخلص ، اما جاء لغواً وهذيانا او قريبا منهما وعلى هذه الوجوه أكثر شعره .

والسبب فى ذلك تعويله على السرقة والترجمة واجتهاده فى اخفائهما ولا يكون اخفاء السرقة الا بتحويل المعنى أو النقص منه وقلما يفلح العقاد فى هذه الناحية لانه لا يستطيع ان يزيد فى المعنى المسروق أو يجيء به أحسن من أصله كما عرفت فى كل ما اوردناه من سرقاته فكلها نازل منحط . أما إخفاء الترجمة فيكون بالتصرف فيها وبهذا يفقد المعنى جماله الشعرى أو الفلسفى او البيانى ويجىء كالمعنى المسروق مضطربا ناقصا مخبأ الوجه كيلا يعرف فضلا عن أن ترجمة الشعر الاورو بى شعرا عربيا قلما تخلص إلا للافذاذ من أهل البيان العربى و القادرين على اخضاع هذه اللغة والمتمكنين من أسرار ألفاظها و الموهوبين فى أدمغتهم عقولا بيانية وليس فى العقاد من هذا كله شىء وهو يعرفه و يقر به ولا يكابر فيه لانه لا يدعى انه (جبار ذهن) الا من الناحية العقلية المحضة ويحتسب هذه العقلية شيئا غير البيان وهنا موضع من مواضع جهله فان شكسبير او غوته او شلر او بيرون او شيلى او هيجو او طاغور او سواهم من جبابرة الأدب فى العالم لم ينبغ بهم العقل المحض بل العقل البيانى وحده اى العقل المخلوق للتفسير والتوليد وتلقى الوحى وأدائه واعتصار المعنى من كل مادة وادارة الاسلوب على كل ما يتصل به من المعانى والآراء لينقلها من خلقتها وصيغها العالمية الى خلق انسان بعينه هو هذا العبقرى . فكل الذين ينكرون على البيان والاسلوب واللغة من العقاد وأمثاله انما يفضحون جهلهم و تقصيرهم ويثبتون انهم فى غمار الناس وانهم لا يصلحون للعبقرية الادبية ولا تصلح لهم أو لا تصلح بهم . ومما علمت من ضعف العقاد فى هذه الناحية تعلم السبب فى ركاكته وتعقيده وانه لا يفلح لا مترجم شعر ولا سارق

شعرمع أن تعويله إنماهو على الترجمة والسرقة وعلى إفسادهما لاختفائهما، فكل ماأصبته في شعرهذا المراحيضى من معنى معقد اونظم ملتو أو بيان ناقص اوسبك غير مخلص، فاعلم ان هناك موضع ترجمة او موضع سرقة لابد من احدهما . ولا تتخلف هذه القاعدة فى شعر العقادمطلقاوهي مفتاح سرمن اسراره قد وضعناه فى يدك .

ونعود فنفتح الديوان . يقول صاحب مرحاضه فى صفحة ١٥٨ :

سفاها لعمرى عدنا الخطو بعده اذاكان لايدنو بنامن مؤمل

يريد العام الجديد ومع هذه الركاكة فقوله (سفاهاً) لحن ويجب ان تكون مرفوعة لانها خبر مبتدؤ . قوله « عدنا الخطو » ولكن الخبر اشتبه عليه بالمفعول لاجله فنصبه وفى هذه الصفحة يقول :

دعونى أسر فى ساحة العيش مفرداً مغمى فلا أدرى مصيرى وأولى

هنا يريد العقاد أن يكون كبهيمة الساقية أو دابة الطاحون يسير (مغمى) مغطى العينين وهم يفعلون ذلك بالبهيمة حتى لا ترى أنها تضرب فى دائرة لا تتعداها فتقف بل تظن أنها سائرة سيراً طويلا مطرداً مع أنها طول نهارها فى بضعة أمتار .

والمعنى عجيب يلائم ذوق المراحيضى ولكن اذا غمى هذا المراحيضى وعمى عن المستقبل والمصير فهل تراه يعمي عن الماضى ؟ أم هو يريد أن يسلبه الله الذاكرة أيضاً ! . . .

و يقول فى صفحة ١٥٣ :

تخاف بعضهم بعضا و يمنعهم دونى مغافر أقذار وأقذاء

يريد شبان مصر ! وقد فسر المغافر فى الشرح بالدروع وما هى بها بل المغفر ما يجعل أسفل البيضة على الرأس من زرد أو ديباج أو خز أو غيرها ليتى الرأس من حديد البيضة . ومن هذه المادة الغفارة بالكسر - خرقة تلبسها المرأة فتغطى رأسها وهى (الطرحة) عندالعامة . والعقاد يستعمل المغفر دائماً فى معنى الدرع وهو جهل عجيب .

وهو فى البيت الذى أوردناه يسب نفسه من حيث لايدرى لأنه اذا كان شبان مصر يمنعهم دونه دروع أقذار وأقذاء ، فهذه الدروع لا تكون إلا عليه هو لأنهم يقفون (دونه) ولايقتحمونه لمكان هذه الدروع التي تحميه منهم وتمنعهم من دونه ، مع انه يريد العكس وانهم هم الممنوعون منه وهو الممتنع دونهم .

والمعنى أن مقاذرهم تحميهم فلا يمد المراحيضى يده إليهم لئلا يصيبه منهم القذر وهو معنى بارد ولم يحسن سرقته كعادته فانه من قول القائل :

نجا بك عرضك منجى الذباب حمته مقاذيره أن ينالا

فياشبان مصر هكذا يصفكم العقاد و يشبهكم بالذباب الذى يشمئز الانسان أن يناله بيده و إن هاجمه

وقد نبهنا تفسير هذا اللغوى العظيم ! ! للمغافر بالدروع الى تتبع بعض شروحه اللغوية فى ديوانه فاذا الرجل لغوى جرائد كما هو كاتب جرائدوشاعر جرائدوفيلسوف جرائد وسباب جرائد . وهو فى كل ذلك لايساوى إلا مايبلغ ثمن جريدة بضع مليمات . فننشر فى صفحة ٢٤ : السوارى: فقال إنها العمدان وهذا الجمع فى لغة العامة لاغير وفى صفحة ٢٧ يقول « يا للسماء البرزة المحجوبة » وفسر البرزة بقوله « البارزة الحسنة » والكلمة فى جملة معانيها ترجع الى المرأة التى تبرز للرجال تجالسهم و تحادثهم ولاتحتجب عنهم لقوة رأيها وعفافها و جلالها فى قومها أو لبروز محاسنها فترى أن لاتسترها كما كانت عائشة بنت طلحة ، ولا معنى أن تكون السماء (برزة) لانها لاتكون الا برزة وفى هذه الارجوزة يقول فى وصف السماء « كأنها الهاوية المقلوبة » ولامعنى (لهاوية) مع (مقلوبة) إذ هى حينئذ لاتهوى بقرارها، وانما ترتفع به فلا تسمى هاوية فضلا عن أنه لايدخل فى التصور أن تكون الهاوية مقلوبة والمعنى مسروق من وصف تركى مشهور يشبهون فيه قبة السماء بالكأس المقلوبة وهو تشبيه بديع ووصف منطبق فظن المراحيضى أن السماء لكونها كبير من الكأس !!! لا يحسن فى تشبيهها الا الهاوية . ولكن أين الصفاء والنور ، هما من وجوه الشبه فى الكأس إذ تشبه السماء الزجاج — ولا صفاء ولانور فى الهاوية إذهى إنخساف فى الارض ؛ خساف عقل المراحيضى الذى لايميز فى التشبيه بين الكأس والهاوية

فى صفحة ٣٩ يقول فى الشرح : خلق لكل عضو قرين فى الجسم الا القلب فانه منفرد لايكمل الا بقلب آخر . وهذا كذب ولكنه صدق فى العقاد وحده لأنه رجل ذو وجهين !!! و ذو لسانين !! كما يعلم من يعلم . وفى صفحة ٤٢ يقول الدساتين جمع دستان وهو الوتر (وتر العود ونحوه) و إنما الدساتين هى هذه الخشبات

التى تلوى عليها الاوتار ويسميها أهل الصناعة (الملاوى)

وفى صفحة ٤٣ يقول فى شرح هذا البيت

والشعر ألسنة تفضى الحياة بها إلى الحياة بما يطويه كتمان

فيقول فى الشرح : إنما يتكلم الشاعر ويسمعه السامع بالحياة المستقرة لا كل منهما (فهل يتكلم الميت) ؟ . فكأن الحياة إنما تخاطب نفسها !!! بالشعر !!! (وتخاطب من بالنثر ياصاحب مرحاضه ؟) والحياة بغير الشعر جميلة ولكنها كالحسناء الخرساء والشعر يدوم مادامت الحياة فى الانسان أو غير الانسان !!! (فالحمار شاعر مثل العقاد مادام كلاهما حيا وبرهان أن كليهما شاعر هو ان كليهما حى) وأن صرير الجندب ونعيق الضفدع فى الليلة القمراء لهما ضرب من الشعر لأنهما لسان ما فى الجندب والضفدع من حياة وجمال !!! (وكذلك نهيق الحمار ضرب من الشعر الخ الخ) أنظر أيها القارى أى شرح هذا وأى بيت ذاك وكذلك يفعل المراحيضى حين يعجز عن ابراز المعنى فيعمد الى الشرح ممثل هذا الحذيان الفلسفى الذى يغر تلاميذ المدارس وبعض كتاب الجرائد . والمعنى الذى يريده العقاد مسروق من المتصوف فان الصوفية يقررون فى كلامهم كل ماجاء فى هذه القصيدة من مثل هذه المعانى حتى قال بعضهم : لا يكمل المريد حتى يكون ما يسمعه من نهيق الحمار كالذى يسمعه من دواخل المغنين (١)

---

(١) كلمة دواخل هذه من الكلمات العامية القديمة التى أميتت وكانوا يريدون بها مشاهير المطربين ومنها قول الشيخة زعزوعة زجالة مصر فى عهدها وهو من أقدم الزجل

داوخل مصر فى قاعه حداهم بنت جنكية

و زعزوعة ترقصهم على شامى و شامية

فحبذا لو أحييت هذه اللفظة فان فيها معانى نفسية ظاهرة وان كان اصل اشتقاقها بعيدا عن ذلك :

قال صاحب شفاء الغليل : والمحدثون يسمون حسن الصوت دخولا و يسمون ضده خروجا ، كأنه لخروجه عن الايقاع والضرب . وهذا عامى صرف . ثم قالوا داخل ودواخل واطلقوها على المطربين . ومايسمى خروجا هو مايسميه كتاب اليوم نشوزا

وفى صحيفة ٣٧ ينشر : والروض بالاثمار فينان . قال فينان ممثر ولا معنى للثمر هنا ولا هو مما تعطيه المادة لان الفينان الطويل كالشعر والغصون وما اشبهها . و فى صفحة ٥٤ يقول : الخوف فيها والسطا سيان . ضبط السطا بضم السين وفسرها بأنها جمع سطوة ولعلها جمع جهلة او جمع غفلة !!! لاجمع سطوة . وهذه السطا يكررها العقاد ولا أصل لها فى اللغة

وفى صفحة ٦٤ يفسر الموق (موق العين) فيقول : الموق الحدق فغلط فى هذه الكلمة غلطتين لان الحدق جمع حدقة ولا يكون الموق عيونا كثيرة . ثم ان الموق هو طرف العين مما يلى الأنف وهو الذى يجرى فيه الدمع فما هو بالحدقة فضلا عن الحدق .

وفى صفحة ٧٢ يقول فى وصف الزهرة (النجم) :

أشعة ينبثقن شتى كأنها عذق ياسمين
أراك تغوينى بوحى إلى السموات يزدهينى
اغواء ذات الدلال صينت فى ذروة المعقل الحصين

فسر العذق بانه فرع . والعذق لايقال لما فيه زهر ، فعذق النخلة (سباطتها) وكان يجب ان يقول كأنه غصن ياسمين . ولكن من بلادة ذوق هذا الرجل تراه يستعمل ألفاظاً كثيرة يتباصر بها كأنه من المولعين بالعريب وما به ذلك ولكن به ان يعلم تلاميذ المدارس ومحرر و الجرائد انه لغوى عظيم وانجاء بالألفاظ الجافية والمهجورة أو المماتة . وله من هذا كثير بارد سخيف .

وشر ح البيت الثالث فقال : كأن الزهرة وهى تلمع للناس من أعلى السماء وتغويهم للصعود اليها !!! حسناء تنصبى اليها المارة من أعلى حصن !!! ودون الوصول اليها حراس وأسوار !!! قلنا ومع ذلك فيمكن دك الحصن وأسواره وقتل حراسه والوصول اليها فهل يمكن ذلك الصعود الى الزهرة ؟

الحقيقة والله ان العقاد فى منتهى السخف وان فيه روحاً ثقيلة ركيكة لاتدرى أضربت على جسمها أم ضرب جسمها عليها ؟

وفى صفحة ٩٢ يقول : الوادى الجديس . ويفسره بأنه المجدب ولم يرد فى اللغة الا الجادس بهذا المعنى . ولكن العقاد يتصرف كأن اللغة أخبار تجيئه للنشر فهنا يقول

فى جادس جديس وفى صفحة ٧١ يقول فى صدى (صادى) « هيهات تصقل صادئا » فما عليه بعد هذا أن يقول حاسن فى حسن وجامل فى جميل وهكذا.

وفى صفحة ١٣٩ يقول : «يبنيك الملوك وصالا» وفسر وصالا بقوله متواصلين فيكون جمع ماذا ؟ جمع واصل أم جمع وصل اشتراك ! ! ! ومن الذى يقول قوم وصال أى متواصلون غير العقاد المراحيضى ؟ وفى صفحة ١٤٥ يقول

صفه فى عينى وما تعدو به وصف الاضاءة

فسر الأضاءة بانها المرآة وانما هى الغدير يعكس ماؤه مايرى فيه وظاهر انه لايريده فى بيته بل يريد المرآة وأين المرآة من الغدير ؟ وفى صفحة ١٦١ يقول . واشتقنا الحياة دواليا ، وفسرها بالتداول ولا معنى لها الا فى ديوانه !!!

وفى صفحة ١٦٥ قال : «حسن النجوم فى الافق تترى» وفسر تترى فقال تتوالى يعنى انها عنده من ترى يترى فهو تار أو ترن ترن !!!! ماهذه المخازى اللغوية باصاحب مرحاضه ؟ إن تترى اسم ممنوع من الصرف لافعل مضارع ، قال الراغب فى مفرداته فى معنى قوله تعالى « ثم أرسلنا رسلنا تترى » : تترى على فعلى من المواترة أى المتابعة وترا وترا وأصلها واوفأبدلت نحو تراث وتجاه (١) . فمن صرفها جعل الألف زائدة لا للتأنيث ومن لم يصرفها جعل الفه للتأنيث. وقال الفراء يقال تترى (بالتنوين) فى الرفع وتترى (بالتنوين) فى الجر وتترى (بدون تنوين) فى النصب والالف فيه بدل من التنوين .

فياصاحب مرحاضه مالك وللشرح واللغة وأنت لاتفرق بين الاسم والفعل فى كلمة مشهورة واردة فى القرآن الكريم . أما والله لقد خرج شرحك على ديوانك كشرح أبى شادوف ! !

وقد سئمنا هذه الأغاليط فنقف منها عند هذا الحد . ومن عامية هذا العقاد أنه يستعمل فى نظمه عمدان جمع عمود ورجل عميان أى اعمى وشعلان من شعل وسأمان من السأم وعزقان وكظان من الكظة وخيطان جمع خيط . وكل ذلك عامي لايعرف فى اللغة وله مثل هذا كثير

---

(١) يريد ان أصلها من وتر فابدلت الواو تاء كما فى تراث وهو من ورث وتجاه وهو من وجه

ولنفتح صفحته أيضا . قال المراحيضى فى صفحة ١٢٤ يطلب صورة حبيبه :

آه لو يقرب البعيد وآه لو تدانى البعيد من أوطاري
أتقاسى بعدين بعدا من اليـأ س على قربكم وبعد الديار
يا حبيبي وهل يكون حبيبا من بلاتى بحبه واشتهارى
برد القلب الخ ...

برد ياحبيب المراحيضى برد فما انت والله الا أبرد منه!! ما أنت الا لوح ثلج (يابعيد) ألا تراه يقول آه لو يقرب (البعيد) .. ليت شعرى كيف خذلت العقاد عامته الاصلية فى هذا مع أن النكتة فى (البعيد) ظاهرة كل الظهور ؟

ثم يقول إنه يقاسى بعد اليأس على ان الحبيب قريب وبعد الديار فكيف يكون قريبا مع بعد الديار؟

ان هذا ينقص ذاك . والمعنى مسروق محول من قول ابن الرومى فى الرثاء

طواه الردى عنى فاضحى مزاره بعيدا على قرب قريبا على بعد

والمراحيضى يذكر بعدين سخيفين لان اليأس ليس بعدا بل اذا كان كما قالوا إحدى الراحتين فهو ولا جرم أحد القربين او احد الوصلين . وانظر اين هذا من قول الشاعر المبدع الذى يعرف الحب ويعرفه الحب

يا غائبا بوصاله وكتابه هل يرتجي من غيبتيك إياب

آه لو كان هذا الشاعر قال :

« أفا لاحدى غيبتيك إياب » لجن العشاق بكلامه .

والبيت الثالث للمراحيضى فى نهاية الركاكة وأصل هذا المعنى فى قول الارجانى:

اذا رمتم قتلى وانتم أحبتى فما ذا الذى أخشى اذا كنتم عدى

وفى صفحة ١٧٥ يقول:

لازمتني فى جفوتى وتسهدى طيف يساور أو سواد عابر

وهو لحن اذ يجب أن يقال طيفا وسوادا عابرا ولا سبيل غير ذلك لانهما بيان لحالى الملازمة فى النوم والسهد . ثم اذا لازمه حبيبه طيفا فى نومه فما معنى « سواد عابر » فى السهد والارق ؟ يكونش العقاد يتغزل فى خفير الحارة !! ؟ لانه وحده السواد العابر طول الليل فى يقظة المراحيضى

وفى صفحة ٦١ يقول :

فطلع لاينى عن البدر طرفـــه فقلت حياء ما أرى أم تغاضيا

وهو لحن اذ يجب ان يقال حياء ام تغاض بالرفع لا غير لتتم الجملة التى هى مقول القول .

وهذه القصيدة كلها معان ممسوخة ولذلك خرجت من أبرد شعره أنظر قوله .

وألثم كيما أبرد غلتى وهيهات لاتلقى مع النار راوياً

يريد أن ثغر حبيبه نار كأن حبيبه هذا غرن !!! أين هذا من قول ابن الرومى :

أعانقها والنفس بعد مشوقة اليها وهل بعد العناق تدانى
وألثم فاها كى تزول حرارتى فيشتد ما القى من الهيمان
وما كان مقدار الذى بى من الجوى ليشفيه ماتلثم الشفتان
كأن فؤادى ليس يشفى غليله سوى أن يرى الروحين تمتزجان

هذا وأبيك الشعر والبيت الأول وحده بخمسة وعشرين عقاداً وقد مسخه هذا المغرور فى قصيدته أيضا .

ونقف عند أبيات ابن الرومى هذه ليفرغ القارىء من نورها على روحه فترفض عنها أقذار شعر المراحيضى فان كلام هـــذا الثقيل لوظفرت به الكيمياء الحديثة لأخرجت منه غازات ملوثة . وغازات مقيئة وغازات للصداع وغازات خانقة . والعقاد يعلم بعد الآن أنه فى شعره ومقالاته كالمستنقع فى قرية . وهو ان كان عند نفسه أقيانوس القرية وصبيانها !!! ولكنه ليس كذلك لافى العلم ولافى الحق ولا عند غير الصبيان ، ولاينفعه شيئا أن يستدل على أنه أقيانوس بتلك البواخر العظيمة التى يسميها بواخر ويسميها الناس ضفادع .....

ooo

(العصور) أعجب الأدباء على اختلافهم — ماعدا العقاد طبعاً — بهذه السفافيد التى لم يكتب مثلها فى باب النقد ، والحوا علينا فى طبعها كتاباً على حدة وسننزل على رغبتهم ونصدر كتاب السفود قريباً خاصاً بالعقاد وحده مفتتحاً بمقدمة طريفة بقلم العقاد نفسه !!! وأخرى لكاتب السفود وثالثة لصاحب العصور . ونحن واثقون أننا بذلك نخدم الأدب العربى خدمة لم يؤدها أحد قبل الآن ولايرجى أن يتحول و يتجدد الابها ، لأنها من جهة تصحح أحكام القراء وتضع فى أيديهم الميزان الصحيح للنقد ، ومن جهة أخرى تبصر الادباء بعيوبهم التي أعماهم عنها الغرور .